

السلوك البشري عند وقوع الحوادث

يمارس الإنسان حياته ويتابع نشاطاته وتهناً نفسه في سكون حال، يبيت هادئاً ويُمسي مستكيناً بحفظ الله وأمنه، وتظل بذلك مسيرة الحياة تسير سيرها الاعتيادي، يشعر بالأمان في رحابها ويزاول أعماله مطمئناً بها؛ ليأوي إلى داره مستقرّ النفس هادئ البال، فإذا ما حدث متغيّر مفاجئ لحادث طارئ ارتبك الحال وجاشّ الوضع، فيتحول الهدوء إلى إزعاج والسكون إلى اضطراب تطيش فيها التصرفات وتتخبط السلوكيات.

إن مجرد صيحة تنبيه بوقوع حريق أو سماع صرخة استغاثة لمن أحاطه خطرٌ أو أوشك أن يقع فيه يتملكه فوراً فرعٌ شديد مُفعم بنوبة أقرب إلى العشوائية بفعل الهلع الذي يستحوذ على النفوس إلا ما رحم ربك ، عندها يُشكّل حاله سلوكٌ غيرٌ عاديٍّ للذين قادتهم ظروفهم إلى مواجهة فجائية مع الحدث .

حيث اختصت تلك الحالة بأهمية كبرى لدى المشتغلين ومنظمي السلامة الذين قاموا برصد وتحليل ردود الأفعال البشرية، إذ كشفت البحوث أن تصرفات من تورطوا في ظروف حوادث مفاجئة كالحريق غالباً ما تأتي عشوائية وتلقائية وعفوية ؛ خشية أن يطوله أذى أو تحيط به إصابة موجهة أو قاتلة أو لا يخرج سالماً من تلك الورطة.

وإزاء ما ينتابهم من خوف وما يتملّكهم من هلع الذي يدفعهم إلى القيام بسلوكيات متسرعة مرتبكة، معتقدين أنها تقضي على

الحريق في حين أنها تساعد على تفاقمه بدلاً من أن تحدّ منه أو تقضي عليه ، ويزداد الوضعُ حرجاً كلما تراءى له أنْ دائرته تضيق ويصعب السيطرة عليه، مما ينجم عنه زيادة التصرفات الطائشة وإحساس مروع بأنهم قاب قوسين أو أدنى من الهلاك، فترتفع صيحات الاستغاثة وطلب النجدة ، فيُعْم المكان هياجٌ تنهار معه الأعصاب وتُنْهَك القوى وتحدث الإغماءات، ويتوالى الإجهاد وتخور القدرات، فينهار الضعاف ويتهالوى الصغار وكبار السن مغشياً عليهم، يغشاهم إحباط شديد لعدم إمكانية النجاة والخروج بسلام

وقد دلت الدراسات أيضاً أنه من النادر جداً أن تجد من يضع في حسابه إمكانية التعرض يوماً لحادث مفعج أو موقف مأساوي أو تورط في ظروف مباغطة تسوؤه وتعصف بحياته وتزعزع استقراره ، ولم يدُرْ في خلد بعضهم أن بيته ليس في منجى من مصائب الحوادث. وبما أنه لم يطرأ عليه طاريها ، ولم تُحدثه نفسه بحدوثها، ولم يتوقع أن يجد نفسه أو أهل بيته في زاوية حرجة ؛ جراء حادث مفعج مفاجئ ، فلا يستطيع تقييد انفعالاته، فتراه يُقدم على تصرفات غريزية بدافع حب الذات.

والسلوكيات البشرية في الحوادث تشتد انفعالاً كلما اشتدّ الحال سوءاً خاصة أن ظروف الحوادث لا تقف عند حد إنْ هي اندلعت، بل تتغير إلى الأسوأ بين لحظة وأخرى، فالتصرف المناسب الذي يقوم به في الوهلة الأولى قد لا يكون مناسباً بعد لحظات، وما يُعتبر موافقاً في هذا الموقف قد لا يكون موافقاً في موقف آخر؛

لاختلاف الظروف المكانية والزمانية، مما يجعل الوضع أكثر صعوبة ويزيده حرجاً.

وقد خرج الدارسون بتوصيات كان أهمها على الإطلاق ما يمكن تعميمه ليستوعبه الناس؛ ليستقر في الأذهان وتستيقنه الأنفس؛ تجنباً للوقوع في مآزق الحوادث. ويمكن تلخيص ذلك في أمرين:

- الأمر الأول: ينبغي أن يعي كل فرد أن أي منزل ليس في منأى عن الحوادث، وأنه لا يوجد ضمان واق أو فائق القدرة مائة في المائة ضد الحوادث. وعلى الإنسان أن يضع في قرارة النفس هذه الحقيقة حتى إذا وقع في مآزقها يكون قد استعد لها نفسياً، حيث تنخفض وطأة الصدمة لتلبس تصرفاته شيئاً من رباطة الجأش في المواجهة بضبط الأعصاب؛ ليكبح جماح العشوائية؛ لتأتي على الأقل بالحد الأدنى من التصرفات؛ للحد من الوقوع في الأسوأ.

- الأمر الثاني: التمرير للناس؛ للتحسب للحوادث وتعزيزها بمبادرات واقية تتبع من ذات الشخص راعي الأسرة وربة المنزل، فليس بمقدور أحد أن يطبعها في الأذهان دون أن تستيقنها الأنفس وتعيها الأفئدة من خلال حس وقائي ذاتي بتشجيع أفراد الأسرة للتعود على هذا النهج، والتنبؤ بالحوادث ليتعودوه سلوكاً وقائياً في المنزل، ليصبح مع الزمن عادة سلوكية لدى الصغار والكبار تقيهم شر الحوادث بإذن الله.